

DEREK PRINCE



هل يحتاج لسانك إلى شفاء؟

Does Your Tongue Need Healing?

ديريك برنس

هل يحتاج لسانك

إلى شفاء؟

كيف تجعل انفعالاتك وكلماتك تسر
قلب الله

ويريك برنس

المحتويات

الفصل الأول: الموت أم الحياة؟	٥
الفصل الثاني: يفيض القلب فيتكلم الفم	١١
الفصل الثالث: صورة اللسان في الكتاب المقدس	١٩
الفصل الرابع: الكلمات تحدد المصير	٢٧
الفصل الخامس: أمراض اللسان	٣٣
الفصل السادس: جذر المشكلة	٤٧
الفصل السابع: الخطوة الأولى للشفاء	٥٣
الفصل الثامن: الهدف من اللسان	٦١
الفصل التاسع: أهمية الاعتراف	٦٩
نبذة عن الكاتب	٧٧

الفصل الأول

الموت أم الحياة؟

عنوان دراستنا هذه هو السؤال التالي: هل يحتاج لسانك إلى شفاء؟ وبينما نتابع تفاصيل هذا الموضوع معاً، ربما تستولي عليك - عزيزي القارئ - بعض الدهشة!

ونبدأ بالإشارة إلى أمر بالغ الأهمية، يتعلق بالطريقة التي صمّم بها الخالق رأس الإنسان. لكل منا سبع فتحات في رأسه، وغالباً ما يتحدث هذا الرقم في الكتاب المقدس عن الكمال. هناك ست فتحات على شكل أزواج: عينان اثنتان، وفتحتان للأنف. لكن الخالق حدد الفم بفتحة واحدة هي السابعة. كثيراً ما سألت الناس: «من منكم يتمنى لو أن له أكثر من فم واحد؟»، ولكني لم أقابل أحداً يتمنى ذلك؛ فأغلبنا يبذل كل جهده، لكي يتمكن من استخدام هذا الفم الواحد بطريقة صحيحة؛ فهو يسبب المشاكل - بمفرده - ما لا تسببه الفتحات الستة الأخرى مجتمعة.

راجع قاموس الكتاب المقدس، وسوف يذهلك عدد المرات التي تجد فيها كلمات مثل: فم، لسان، شفاء، كلام، وكلمة، وغيرها؛ فما أكثر ما يقوله الكتاب عن هذا الموضوع! وهو موضوع يستحق كل هذا الاهتمام بلا شك؛ إذ لا يوجد في شخصيتنا ناحية ترتبط مباشرة بكل كياناتنا أكثر من الفم واللسان.

الموت أم الحياة

نتناول، في بداية دراستنا هذه، عددًا من المقاطع الكتابية التي تؤكد على الأهمية الكبيرة للفم واللسان، ثم نبحث في بعض المبادئ المتعلقة بهذه المقاطع الكتابية. فلننظر أولاً في (مزور ٣٤: ١١-١٣):

"هَلَمْ أَيُّهَا الْبَنُونَ أَسْمِعُوا إِلَيَّ فَأُعَلِّمَكُم مَخَافَةَ الرَّبِّ. مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَهْوَى الْحَيَاةَ، وَيَحِبُّ كَثْرَةَ الْأَيَّامِ لِيَرَى خَيْرًا؟ ضَنْ لِسَانِكَ عَنِ الشَّرِّ، وَسَفَتَيْكَ عَنِ التَّكَلُّمِ بِالْغِشِّ."

تعلمنا كلمة الله «مخافة الرب» باعتبارنا أولادًا لله. لقد أعددت سلسلة من الدروس من قبل، أُبَيِّنُ فيها المركز الفريد الذي تحتله «مخافة الرب» في كلمة الله المكتوبة؛ حيث تُنسب البركة والثمر واليقين إليها بطريقة أعظم من أي شيء آخر.

فهذا يعني أنها تريد أن تعلمنا شيئاً ذا قيمة أبدية غير محدودة.

في هذا المزمور، يربط الكاتب بين «مخافة الرب» وبين «الحياة» و«كثرة الأيام». والواقع أن «الحياة المثمرة»، في الكلمة المكتوبة ترتبط ارتباطاً وثيقاً ودائماً بـ «مخافة الرب»؛ فعلى قدر ما نسلك في «مخافة الرب» نتمتع بالحياة الحقيقية.

فأين تبدأ - عملياً - مخافة الرب؟ الإجابة واضحة في المزمور حيث نقرأ: "صُنْ لِسَانَكَ عَنِ الشَّرِّ، وَسَقَتَيْكَ عَنِ التَّكْلِيمِ بِالْغِشِّ." فالجانب الأول في حياتنا الذي يظهر فيه مخافة الرب هي ألسنتنا وشفاهنا؛ فإذا ما صُنّا ألسنتنا عن الشر وشفاهنا عن التكلم بالغش، نستطيع أن نتقدم إلى ملء مخافة الرب. أمّا «الحياة» و«كثرة الأيام» المملوءة بالخير، فهي أمور تنبع من مخافة الرب. إنها مفاهيم عملية لا يمكن فصل أحدها عن الآخر: مخافة الرب، والخير في كثرة الأيام، والحياة الحقيقية، وصون اللسان والشفيتين. فلا نستطيع أن نتمتع بحياة صالحة إلا إذا صُنّا ألسنتنا وشفاهنا.

يقول سليمان الحكيم في (أمثال ١٣: ٣):

"مَنْ يَحْفَظُ قَمَهُ يَحْفَظُ نَفْسَهُ. مَنْ يَشْحَرُ سَفَتَيْهِ (يثرثر) فَلَهُ هَلَاكٌ."

النفس هي الإنسان كله، وهي أول مجال يظهر فيه الضعف، وأول جبهة يخترقها العدو؛ فمن أراد أن يحفظ نفسه، عليه بحفظ فمه أولاً، أما الثثرة فهي مصدرٌ للدمار والهلاك.

بكلمات أخرى: سَيُطْر على لسانك، تحظّ بالحماية؛ افقد السيطرة على لسانك وعلى كلماتك، تنته إلى الدمار. إنها حقيقة واضحة لا لبس فيها.

سفر الأمثال بأكمله مليء بهذه المبادئ. انظر (أمثال ٢١: ٢٣) مثلاً:

"مَنْ يَحْفَظُ فَمَهُ وَلِسَانَهُ، يَحْفَظُ مِنَ الضِّيقَاتِ نَفْسَهُ."

مرة أخرى يؤكد الكتاب على أهمية حفظ الفم واللسان. ولا مجال هنا للحياذ أيضاً، فإما أن تحفظ فمك ولسانك، فتحفظ بذلك حياتك ونفسك، وإما أن تفشل في ذلك، فتقود نفسك إلى الضيقات.

هناك مقطعان آخران في سفر الأمثال لهما أهمية عملية خاصة بخصوص استخدام اللسان:

"هُدُوءُ اللِّسَانِ سَجَرَةُ حَيَاةٍ، وَاعْوَاجُهُ سَحْقٌ فِي الرُّوحِ." (أمثال ١٥ : ٤).

أما الترجمة التفسيرية - كتاب الحياة - فتضع هذه الكلمات هكذا:

”اللسان السليم يُنعش كشجرة حياة.“ وهذا أقرب إلى الكلمات العبرية الأصلية والتي تشير إلى ”شفاء اللسان.“ يحتاج كل إنسان بعيد عن الرب إلى شفاء لسانه؛ فاللسان هو المجال الذي تظهر من خلاله الخطية دائماً. ربما نجد في حياة إنسان خاطئ ناحية أو أكثر لا تظهر فيها آثار الخطية، لكن اللسان ليس أحدها على الإطلاق، وينبغي أن يُشفى.

إذا «شفاء اللسان شجرة حياة» لاحظ -ثانية- الصلة الوثيقة بين الحياة وبين استخدام اللسان بصورة سليمة. أما البديل فهو أن «اعوجَّجْهُ سَحَقْ فِي الرُّوحِ.» والاعوجاج هو الاستخدام الخاطئ، ويؤدي إلى انكسار الروح وسحقها وتصدُّعها.

جاء أحد الخدّام ضيقاً على إحدى الكنائس، وكان يصلي مع الناس فطلب من أجل إحداهن قائلاً: «يارب، املاها من الروح القدس.» فقال الراعي الذي كان يعرفها: «لا يارب، إنها متصدعة تتسرب منها البركة!»، كثيرون يمتلئون من الروح وينالون بركة من عند الرب، لكنها سرعان ما تتسرب عبر اللسان. إذا أردت أن تحافظ على بركات الله عليك أن تضمن

السيطرة على لسانك، فنوال البركة شيء، أما الحفاظ عليها فهو شيء آخر. نعم، إن شفاء اللسان شجرة حياة تُثمر بالحياة لنا وللآخرين، فهي تعمل في الداخل وفي الخارج على حدٍ سواء.

"الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَجْبَاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ." (أمثال ١٨: ٢١).

الخيارات واضحة تمامًا: الموت أو الحياة، وكلاهما في يد اللسان؛ إذا استخدمناه بطريقة سليمة فالنتيجة هي شجرة حياة، وإذا استخدمناه بطريقة خاطئة فالموت هو النتيجة. وسياكل كل منا ثمر لسانه بالتأكيد، حلواً كان ذلك الثمر أم مُرّاً، وكلمة الله تؤكد ذلك. اللسان عضو فعال وحاسم، وفي يده الموت والحياة.

الفصل الثاني

يفيض القلب فيتكلم الفم

التوضيح التالي يبين العلاقة ما بين القلب والفم: عملت خلال الحرب العالمية الثانية مرافقاً طبياً مع الجيش البريطاني في شمال أفريقيا، وتم تعييني مسئولاً عن أحد المراكز الصغيرة في الصحراء؛ كان المركز مخصصاً لاستقبال حالات الدوسنتاريا فقط.

في كل صباح كنا (أنا والطبيب المختص) نتفقد الذين كانوا جميعاً مستقلقين على نقالات على الرمال مباشرة، وقد لاحظت أنه في كل صباح يقوم الطبيب دائماً بتحية كل مريض بنفس العبارتين: الأولى، «صباح الخير، كيف حالك اليوم؟» أما الثانية فهي، «أرني لسانك!» وسرعان ما لاحظت أن الطبيب لم يكن يولي اهتماماً كبيراً لإجابة سؤاله، «كيف حالك؟» بل كان ينتقل سريعاً إلى طلبه الثاني «أرني لسانك». وعندما يُخرج

المريض لسانه، كان الطبيب يتفحصه بعناية؛ فيحدد حالة المريض بناءً على ذلك، لا بناءً على ما يقوله المريض عن نفسه.

انطبعت هذه الصورة في ذهني، وعندما تفرغت للخدمة التبشيرية، كثيراً ما رأيت أن الله يعمل بطريقة مشابهة جداً لتلك الطريقة التي اتبعها ذلك الطبيب مع مرضاه؛ فقد يسأل الله أحداً قائلاً: «كيف حالك اليوم؟» وقد نجيبه فنصف حالنا بشكل أو بآخر، لكنني أعتقد أن الله يقول لنا بعد ذلك: «أرني لسانك!»، وعندما ينظر إلى ألسنتنا، يحدد حقيقة حالتنا الروحية. إن حالة لسانك هي دليل أكيد يقود إلى كشف حالتك الروحية.

نؤكد الآن هذه الحقيقة بالرجوع إلى كلمة الله المكتوبة؛ فهناك الكثير من المقاطع الكتابية التي تبين مبدأ الارتباط المباشر بين القلب والفم. يقول يسوع في (متى ١٢: ٣٣ - ٣٧):

"اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وَتَمَرُهَا جَيِّدًا، أَوْ اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وَتَمَرُهَا رَدِيَّةً، لِأَنَّ مِنَ الثَّمَرِ نَعْرِفُ الشَّجَرَةَ. يَا أَوْلَادَ الْآفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِالصَّالِحِ مِنَ الْكُنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنَ

الْكَنْزِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَبْنِئُ وَتَكْلَمُكَ تَبْنِئُ." ثَدَانُ.

يؤكد الرب يسوع هنا على العلاقة المباشرة بين القلب والفم مستخدمًا لغة المثلث فيشبه القلب بالشجرة، والكلمات التي تخرج من الفم يُشَبَّهها بالثمر؛ فتنوع الكلمات تشير إلى حالة القلب. يقول يسوع: "الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ (الكلمات الصالحة)، وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. (الكلمات الشريرة)."

يستخدم يسوع الكلمة «صالح» ثلاث مرات، والكلمة «شر» ومشتقاتها ثلاث مرات. نعم، إن القلب الصالح ينتج كلمات صالحة من الفم، أما القلب الشرير فينتج كلمات شريرة.

بطريقة مشابهة، يقول يسوع في (متى ٧: ١٧ - ١٨):

"هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لَا تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلَا شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً."

تحدد طبيعة الشجرة طبيعة الثمر بكل تأكيد، والعكس صحيح أيضاً؛ فطبيعة الثمر تدلنا على طبيعة الشجرة. الشجرة هنا هي القلب، والثمر هو الفم؛ لا يمكن أن نحصل على ثمر جيد من شجرة رديّة، أو على ثمر رديء من شجرة جيدة. إنها علاقة حتمية لا يمكن تجنبها، تلك العلاقة بين حالة القلب وحالة الفم.

قد نخدع أنفسنا بكل تلك الأفكار التي تشير إلى صلاحنا وطهارتنا وبرنا، إلا أن المؤشر الذي لا يخطئ هو مؤشر الفم وما يخرج منه؛ فإذا كان ما يخرج من الفم فاسداً، فلا بد أن القلب فاسد أيضاً، ولا مجال لأي استنتاج آخر.

عملت معلماً لمدة خمس سنوات في شرق أفريقيا، كان جزءاً منها مع قبيلة تُدعى «الماريجولي» "marigoli". وقد دُهِشت عندما اكتشفت أن الكلمة التي تعني "قلب" في لغتهم هي الكلمة نفسها التي تعني "صوت"، وكنت أحتار عندما يستخدمها أحدهم أماً؛ أَلعله يقصد «قلبك» أو «صوتك؟» لكنني بدأت أدرك، بعد التأمل، العمق الحقيقي الذي تتميز به تلك اللغة؛ فالصوت والكلمات يتحدثان عن حالة القلب، وهذا ما أكدّه الرب يسوع.

قد تخاطب الله قائلاً: «أنا مؤمن جيد يارب، أنا أحبك وأداوم على الكنيسة.» لكنني أعتقد أن الله سيطلب منك قائلاً: «أرني لسانك» كما فعل ذلك الطبيب في الصحراء، يقول الرب «عندما أرى لسانك، أعرف حقيقة قلبك.»

أقدم المزيد من التوضيح من خلال صورتين نبويتين من العهد القديم:

الأولى هي صورة المسيح نفسه «المسيا»، والثانية هي صورة عروس المسيح (الكنيسة). لاحظ - في كلا المثالين - أن التركيز الأكبر هو على حالة الفم والشفاه؛ يقدم (مزمور ٤٥ : ١-٢) صورة نبوية رائعة عن المسيا:

"فَاصْ قَلْبِي بِكَلَامٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ (المسيح) لِسَانِي قَلَمٌ كَاتِبٌ مَاهِرٍ. (بعد ذلك تأتي الكلمات التي يخاطب بها المرنم الملك) أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالًا مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. اسْكَبْتَ النِّعْمَةَ عَلَى سَفَتَيْكَ، لِذَلِكَ بَارَكَكَ اللَّهُ إِلَى الْأَبَدِ."

إنها صورة المسيا بنعمته وجماله وطهارته، فما هو أول جانب من جوانب هذا الجمال التي يظهرها المزمور؟ إنها

النعمة التي أنسكبت على شفتيه. بعد ذلك يقول الكاتب:
"لِذَلِكَ بَارَكْتَ اللَّهُ إِلَى الْآبِدِ."

في هذا المقطع مبدآن أساسيان: الأول، هو أن نعمة المسيا أظهرت أساساً على شفتيه، أما المبدأ الثاني فهو أن الله باركه بسبب النعمة التي على شفتيه. عندما ظهر المسيح بالجسد وأرسل بعض الخدم للقبض عليه، عادوا بأيادي فارغه. وعندما سألهم الفريسيون ورؤساء الكهنة عن ذلك قالوا: "لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ!" إنها النعمة التي أنسكبت على شفتيه، والتي ميزته كالمسيا.

نجد في سفر نشيد الأنشاد صورة نبوية للمسيح وعروسه (الكنيسة) والعلاقة بينهما؛ يخاطب سليمان العروس في نشيد الأنشاد ٤: ٣ قائلاً:

"سَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ (كخيط) مِنَ الْقِرْمِزِ، وَفَمُّكِ حُلْوٌ. خَذُكِ كِفْلَقَةٍ رَمَانَةٍ تَحْتَ نَقَائِكِ."

أول ما يطاتنا به هذا العدد عن العروس هو شفاتها، "سَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ (كخيط) مِنَ الْقِرْمِزِ، وَفَمُّكِ حُلْوٌ." ويشير اللون

القرمزي إلى القداسة من خلال دم الرب يسوع. لقد لمس الدم شفتي العروس، فأصبح فمها حلواً. لاحظ أن الوجه مخبأ تحت نقاب، "حَذِّكَ كَفْلَقَةٍ رُّمَانِيَّةٍ تَحْتَ نَقَابِكَ."؛ إنه جمال خفي، إلا أن الصوت يخترق النقاب ويظهر فوق كل شيء، ونقرأ في الأصحاح نفسه:

"شَفَتَاكَ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْدًا. تَحْتَ لِسَانِكَ عَسَلٌ وَلَبَنٌ، وَزَائِحَةٌ يَتَابِكَ كَزَائِحَةِ لُبْنَانٍ." (نشيد الأنشاد ٤ : ١١).

لاحظ الكلمتين المميزتين المرتبطتين بلسان العروس، "عَسَلٌ وَلَبَنٌ". وهما سمتان من سمات الأرض المقدسة. ثم هناك الرائحة الطيبة التي تلي وصف شفتي العروس، وتنفذ هذه الرائحة من ثيابها؛ فجمال العروس الحقيقي لا يُرى مباشرة، لكن صوتها ورائحتها ينفذان من خلال الثياب والنقاب ويظهران عبر جمال شفتيها. نعم، شفاتها كخيوط من قرمز، وفمها حلو.

هل تنطبق عليك هذه الصفات كمؤمن تتبع يسوع؟
يحتاج كل منا أن يسأل نفسه هذا السؤال.

الفصل الثالث

صورة اللسان في الكتاب المقدس

لقد اكتشفنا -فيما سبق- العلاقة المباشرة بين قلوبنا وأفواهنا، والملخصة في كلمات الرب يسوع في (متى ١٢: ٣٤): "فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ"، فعندما يمتلئ القلب، يفيض بما فيه من خلال الفم، ويخبرنا هذا الفيض عن حالة القلب الحقيقية.

ورأينا أن العهد القديم يَصَوِّرُ المسيح وعروسه (الكنيسة)، موضعًا أن نعمة الله وروعة الجمال الروحي والأخلاقي تظهران على الشفتين ومن خلال الكلام.

نتابع الآن دراستنا متفحصين الصورة التي يقدمها الكتاب المقدس عن اللسان نفسه. وتعرض رسالة يعقوب إلى هذا الموضوع بإسهاب، حيث تبين أولاً بعض العلامات الرئيسية التي تميز الديانة التي يرفضها الله:

"إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِيكُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ ذَيَّنَّ، وَهُوَ لَيْسَ يُلْجِمُ لِسَانَهُ، بَلْ يَخْدَعُ قَلْبَهُ، فَدِيَانَتُهُ هَذَا بَاطِلَةٌ." (يعقوب ١: ٢٦).

ليس مُهمًّا مقدار التدين الذي ندعيه؛ فقد نلتزم بالكنيسة، ونرزم، ونعمل كل الأشياء التي تُظهر تديننا، وهي أمور ليست سيئة بحد ذاتها، لكن إن لم نلجم ألسنتنا ونسيطر عليها، فكل مظاهر إيماننا باطلة. فليت المتدينين يواجهون هذه الحقيقة بصدق.

من جانب آخر، يتحدث يعقوب عن ما يسميه «الديانة الطاهرة النقية عند الله»، وهي تختلف عن التدين الذي نراه في معظم مرتادي الكنائس هذه الأيام:

"الدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ الْآبِ هِيَ هَذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنْسٍ مِنَ الْعَالَمِ." (يعقوب ١: ٢٧).

فأول دلائل الإيمان الإيجابية ليس هو حضور الاجتماعات أو حتى قراءة الكتاب المقدس، بل هو مساعدة المحتاجين بدافع المحبة العملية، خاصة اليتامى والأرامل، تأمل جيدا في كلمات (يعقوب ١: ٢٦-٢٧)؛ فإن لم تكن تستطيع أن تسيطر

على لسانك فأنت في قائمة أصحاب الديانة الباطلة. أما الإيمان الحقيقي فيظهر من خلال أعمال المحبة والإيمان، التي تضع الآخرين أولاً، وتقدم لهم كل مساعدة وقت الحاجة.

أعود ثانية إلى ذلك الطبيب الذي كان يسأل مرضاه عن صحتهم، ثم يطلب قائلاً «أرني لسانك؟» فلم يكن مهتماً تماماً بما يقوله المريض عن نفسه، بل كان سرعان ما يطلب رؤية لسانه. وهذا ما يقوله يعقوب مشيراً إلى موقف الله من التدين الكاذب؛ فإذا أردت أن تتباهى بتدينك أمام الله، تجده مهتماً أكثر برؤية لسانك، ثم يحكم إن كانت ديانتك باطلة مرفوضة، أو طاهرة مقبولة.

ويستخدم يعقوب عدداً من الصور لكي يوضح دور اللسان في حياتنا، نقرأ أولاً (يعقوب ٣: ٢):

"لأننا في أشياء كثيرة نَعْتَرُ جَمِيعُنَا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَرُ فِي الْكَلَامِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ أَيْضًا."

فالسيطرة على اللسان - كما يقول يعقوب - تتضمن السيطرة على الحياة كلها، ويكون الإنسان عندها كاملاً. ثم

يتابع مقدّمًا بعض الأمثلة التوضيحية من الحياة الطبيعية.

"هُودَا الْخَيْلُ، نَضَعُ اللَّجْمَ فِي أَفْوَاهِهَا لِكَيْ تُطَاوَعَنَا، فَتُدِيرَ جِسْمَهَا كُلَّهُ. هُودَا السُّفُنُ أَيْضًا، وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِهَذَا الْمَقْدَارِ، وَتَسُوقُهَا رِيَّاحٌ عَاصِفَةٌ، تُدِيرُهَا دَفْعَةً صَغِيرَةً جِدًّا إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَضْدُ الْمُدِيرِ. هَكَذَا اللِّسَانُ أَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَفْتَخِرُ مُتَعَطِّمًا. هُودَا نَارٌ قَلِيلَةٌ، أَيْ وَفُودٌ تُحْرَقُ؟ فَاللِّسَانُ نَارٌ! عَالَمُ الْإِنْمِ. هَكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ، الَّذِي يُدْنِسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ، وَيُضْرِمُ مِنْ جَهَنَّمَ. لِأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطَّيُورِ وَالرَّحَافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ، وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيُّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَذَلَّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لَا يُضَبْطُ، مَمْلُوءٌ سُمًّا مُمَيَّنًا."

يبين يعقوب أهمية اللسان الفريدة، وتأثيره العميق على مسار حياتنا كله. ويبدأ باستخدام مثال اللجام في أفواه الخيل؛ فإذا استطعنا أن نضع لجامًا في فم الحصان. استطعنا أيضًا أن ندير جسمه كله أينما نريد، والحصان في الكتاب المقدس يتحدث عن القوة الجسدية؛ فهما كان الحصان قويًا، يمكن أن تسيطر عليه تمامًا بواسطة اللجام في فمه. نعم، إن الطريق إلى إخضاع حصان قوي هو فمه، وكذلك بالنسبة إلينا أيضًا،

لأن القوة التي تسيطر على أفواهنا، تسيطر بالتالي على حياتنا كلها.

ربما يكون المثال الثاني أكثر عمقًا وأدق تصويرًا، حيث يشبه يعقوب اللسان بدفة السفينة؛ فالسفينة الضخمة التي لا تتحرك إلا بقوة الرياح العاصفة، تعتمد في تحديد مسارها على عجلة صغيرة جدًا هو الدفة. إذا استخدمنا الدفة بطريقة ملائمة سليمة، ترسو السفينة إلى الشاطئ سالمة آمنة؛ أما إذا أسأنا استخدام الدفة، فالتحطّم هو مصير السفينة على الأغلب. هكذا أيضًا في حياتنا كما يقول يعقوب؛ اللسان هو الدفة في سفينة الحياة، هو يحدد مسارها. فإذا استخدمنا اللسان كما ينبغي، قادنا إلى مصيرنا الموعد سالمين، وإذا أسأنا استخدامه تحطمت سفينتنا!

ثم يقدم يعقوب مثالاً من النار القليلة أو «شرارة صغيرة» (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة) التي تحرق وقودًا كثيرًا أو «غابة كبيرة» (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة)؛ فكم من الغابات التي دمرتها النار في العالم! وكم من الثروات التي التهمتها النار! وكانت البداية شرارة صغيرة كما يقول الكتاب!

وقد استخدمت دائرة الحفاظ على الغابات في الولايات المتحدة شعاراً تقول فيه: «أنت وحدك تستطيع أن تمنع حرائق الغابات»، وهو شعار صحيح في الحياة الروحية أيضاً؛ فاللسان مثل شرارة صغيرة يمكن أن تتحول إلى نيران خطيرة، فتُكَبَّدُ الكثيرين خسائر فادحة. وما أكثر النفوس والكنائس التي دُمِرت بسبب شرارة لسان صغيرة، وضاعت إلى غير رجعة!

المثال الأخير الذي يقدمه يعقوب هو السم المميت؛ فاللسان أداة قاتلة يمكن أن تُنتج سمًا مميتًا يسري وينتشر في كل أجزاء حياتنا.

انظر إلى الأمثلة السابقة من جديد: اللجام في فم الحصان، دفعة السفينة القليلة (الشرارة) التي تشعل الغابات، السم المميت الذي يُنفث في الجسد. هناك مبدأ واحد مشترك يميز هذه الصور كلها وهو أن اللسان عضو صغير في الجسد، لكنه يستطيع أن يسبب دماراً هائلاً قد يكون إصلاحه مستحيلاً.

ثم يتابع يعقوب مشيراً - مرة أخرى - إلى القلب والتناقض اللذين يميزان المتدينين من الناس:

"بِهِ (أَيُّ اللِّسَانِ) تُبَارِكُ اللَّهُ الْآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى سُبْهِ اللَّهِ. مِنَ الْقِمِّ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ! لَا يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا! أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يَنْبُعُ مِنْ نَفْسٍ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذَبَ وَالْمُرَّ؟ هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تَيْنَهُ أَنْ تَصْنَعَ رَيْثُونًا، أَوْ كَرْمَةً تَيْنًا؟ وَلَا كَذَلِكَ يَنْبُوعٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذَبًا!" (يعقوب ٣: ٩ - ١٢)

يكرر هنا يعقوب ما سبق وقاله يسوع، فالشجرة الصالحة تُنتج ثمرًا صالحًا؛ شجرة التين في قلبك تخرج تينًا من فمك، وشجرة العنب تُخرج عنبًا لا تينًا، ما يخرج من فمك يشير إلى ما في قلبك. هكذا أيضًا بالنسبة إلى نبع المياه، فالمياه العذبة من الفم تشير إلى النبع العذب في القلب، والمياه المُرَّة تشير إلى قلب مُر. إذًا، ما يخرج من الفم يشير بوضوح إلى حالة القلب.

الفصل الرابع

الكلمات تحدد المصير

الصور المختلفة التي يستخدمها يعقوب لتوضيح دور اللسان في حياتنا تحمل جوهرًا واحدًا: اللسان عضو صغير مجد ذاته، لكنه قادر على إحداث خراب هائل إذا تُرك بلا عناية. ومن بين الصور الأربع التي تعرضنا إليها (اللجام، الدفة، الشرارة، السم)، نجد أن صورة دفة السفينة هي الصورة الأكثر قدرة على توضيح أهمية اللسان العظيمة.

الدفة هي أداة صغيرة بالفعل، وهي جزء من السفينة يختفي تحت السطح، فلا يمكن رؤيتها عند مراقبة سفينة طافية على سطح المياه. رغم ذلك، فإن تلك الأداة الصغيرة غير المرئية تحدد مسار السفينة واتجاهها، والاستخدام الصائب للدفة يمكن السفينة من الوصول إلى هدفها. أما إذا أُسيء استخدامها، فاحتمال تحطم السفينة وارد جدًا. إذًا، الدفة تحدد مسار ومصير السفينة كلها.

فيما يلي مثال من تاريخ شعب الله القديم يساعدنا على فهم الدرس بأوضح الصور وأبسطها. أما الدرس الذي نسعى إلى إدراكه فيمكن تلخيصه بهذه الكلمات:

يحدد الإنسان مصيره من خلال الطريقة التي يستخدم بها لسانه. أما المثال التاريخي فنجده في الأصحاحين ١٣، ١٤ من سفر العدد حيث خرج الشعب القديم من مصر متوجهًا إلى أرض جديدة، فأرسل موسى اثني عشر رجلًا لكي يتجسسوا الأرض، ويعرفوا طبيعتها وطبيعتها ساكنيها ومدنها وأثمارها، ويقدموا تقريرًا بذلك، فذهب الرجال الاثنا عشر (واحد من كل سبط)، وتفحصوا الأرض أربعين يومًا متجولين فيها، ثم عادوا بتقاريرهم:

"فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى بَرِّيَّةِ قَارَانَ، إِلَى قَادَشَ، وَرَدُّوا إِلَيْهِمَا خَبْرًا وَإِلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَرَوْهُمْ ثَمَرَ الْأَرْضِ. وَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، وَهَذَا ثَمَرُهَا. غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الْأَرْضِ مُعْتَزٌّ، وَالْمَدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا. وَأَيْضًا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَّا قَ هُنَاكَ." (العدد ١٣: ٢٦ - ٢٨).

ماذا تفعل بوعده يقدمه لك الله؟ أقبله كما هو؟ أم

تقبله ثم تقول: «غير أن...» أو «لكن...» إنها كلمات قاتلة تنفث سموم الانزعاج والأسى. أمّا يشوع وكالب (اثنان من الاثنى عشر) فلم يتخذا ذلك الموقف السلبي، إذ نقرأ في (عدد ١٣: ٣٠ - ٣١) ما يلي:

"لَكِنْ كَالِبٌ أَنْصَتَ الشَّعْبَ إِلَى مُوسَى وَقَالَ: «إِنَّا نَضَعُ وَثَمَتِهَا لَأَنَّا قَادِرُونَ عَلَيْهَا». وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ فَقَالُوا: «لَا نَقْدِرُ أَنْ نَضَعَهُ إِلَى الشَّعْبِ، لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا».."

لاحظ الكلمات المستخدمة هنا: قال كالب:

"... لَأَنَّا قَادِرُونَ عَلَيْهَا"، بينما قال العشرة الآخرون: "لَا نَقْدِرُ" كالب تكلم بإيجابية، بينما تكلم الآخرون بسلبية، فإذا تابعنا القصة، نجد أن كل فريق نال ما قاله تمامًا؛ لقد حدد كل مصيره من خلال كلامه:

"فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ. وَلَكِنْ حَيٌّ أَنَا فَتَمْلَأُ كُلَّ الْأَرْضِ مِنْ مَجْدِ الرَّبِّ، إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمَلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُونِي الْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي، لَنْ يَرَوْا الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لِأَبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ أَهَانُونِي لَا يَرَوْنَهَا. وَأَمَّا

عَبْدِي كَالِبُ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَتْ مَعَهُ رُوحٌ أُخْرَى، وَقَدْ اتَّبَعَنِي تَمَامًا،
أَدْخَلُهُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي ذَهَبَ إِلَيْهَا، وَزَرَعُهُ يَرْثُهَا." (العدد ١٤: ٢٠ - ٢٤).

فباعترافه الإيجابي بلسانه، حدد كالب مصيرًا إيجابيًا له
ولنسله. ثم نتابع في (عدد ١٤: ٢٦ - ٣٢):

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ
السَّرِيزَةِ الْمُتَذَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَذَمَّرُونَهُ
عَلَيَّ. قُلْ لَهُمْ: حَيَّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لَأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أَدْنِي. فِي
هَذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَّتُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنْ
ابْنِ عَشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ. لَنْ تَدْخُلُوا الْأَرْضَ الَّتِي
رَفَعْتُ يَدِي لِأَسْكِنَتَكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنَ يَفْنَةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ. وَأَمَّا
أَطْفَالُكُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَادُّهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الْأَرْضَ الَّتِي
احْتَقَرْتُمُوهَا. فَجُثَّتُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هَذَا الْقَفْرِ".

لاحظ الكلمات: "... لَأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أَدْنِي." (ع ٢٨)،
فكأن الله يقول لهم: «لقد حددتم ما أفعله بالكلمات التي
نطقتم بها.» ونقرأ بعد ذلك:

"أَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا الْأَرْضَ، وَرَجَعُوا

وَسَجَّسُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِإِسَاعَةَ الْمَدَمَّةِ عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاتَ الرَّجَالُ
الَّذِينَ أَشَاعُوا الْمَدَمَّةَ الرَّدِيئَةَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْوَبَاءِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَأَمَّا يَسُوعُ
بُنُّ نُونٍ وَكَالِبُ بْنُ يَفْنَةَ، مِنْ أَوْلِيكَ الرَّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا لِيَتَجَسَّسُوا
الْأَرْضَ، فَعَاشَا. (عدد ١٤: ٣٦ - ٣٨)

الموت والحياة في يد اللسان؛ ما الذي يمكن أن يكون
أوضح من هذا؟ فالذين تكلموا بالهزيمة والموت ماتوا، والذين
قالوا: «نقدر...» قدروا وما أشبه حالنا نحن أبناء العهد الجديد
بحال أهل العهد القديم! يُنَبِّهنا الكتاب المقدس إلى أننا نجتاز
في تلك الدروس نفسها التي جاز بها الشعب القديم، فنقرأ في
(عبرانيين ٤: ١-٢):

"فَلْتَحَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالْدُخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ
قَدْ حَاطَ مِنْهُ! لَأَنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أَوْلَيْكَ، لَكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ
الْخَبَرِ أَوْلَيْكَ. إِذْ لَمْ تُكُنْ مُمْتَزِجَةً بِالْإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا."

فما زال الوعد بالدخول إلى الراحة قائماً كما كان لشعب
الله القديم، لكن علينا أن نحذر من أن نخيب من وعد الله
كما حدث معهم. كانت مشكلتهم هي أنهم سمعوا رسالة الله
ووعده، لكنهم أضافوا إليها الكلمات المميته: "غير أن..."، وبدلاً

من التركيز على وعد الله والاعتراف الجريء بإيمانهم بوعد الله وقدرته، ركزوا على الجانب السلبي؛ نظروا إلى العمالة وإلى أسوار مدنهم فقالوا: "لا نقدر..." ولكن شكرًا لله من أجل رجلين تمسكا بالإيمان والشجاعة قائلين: "لأننا قادرون..."

ماذا تفعل بلسانك عندما تقف أمام وعد إلهي يخص مسألة ما؟ هل تصدق وعد الله؟ هل تتوحد مع الله فتقول: «هذا ما قاله الله، وأنا قادر على السلوك بموجبه». أم تكون واحدًا من أولئك القائلين: «لكن أنظر إلى كل هذه المشاكل! نعم، هذا ما قاله الله، غير أنني لا أشعر بالقدرة»؟

تذكر، لقد حَدَدَ أولئك الجواسيس مصائرهم بالسنتهم، وهذا ينطبق على كل من يسمع رسالة الإنجيل، حيث يحدد كل إنسان مصيره من خلال الكلمات التي ينطق بها.

لقد ركز عشرة من الجواسيس على المشاكل لا على الوعود، بينما ركز اثنان منهم (كالب ويشوع) على الوعود لا على المشاكل فقالا: "لأننا قَادِرُونَ" أما الآخرون فقالوا: "لَا نَقْدِرُ" لقد حدد كل فريق مصيره بلسانه.

الفصل الخامس

أمراض اللسان

درسنا مثالاً من العهد القديم يوضح كيف أن «الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ»، وتعلّمنا أن استخدام اللسان بصورة صحيحة يثمر حياة، والعكس يقود إلى الموت. أما الآن فسنذهب إلى دراسة بضعة أمراض محددة تتعلق باللسنتنا، ويمكن لهذه الأمراض الستة أن تكون مميتة إذا أهملت.

المرض الأول: كثرة الكلام

هذا مرضٌ مألوف جدًّا، حتى أن الناس أخذوا يقبلون بوجوده كأمر طبيعي مُسلم به.

"كَثْرَةُ الْكَلَامِ لَا تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الصَّابِرُ سَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ." (أمثال ١٠: ١٩).

فإذا تكلمت كثيرًا، لا يمكن أن تتفادى الخطأ أبدًا. كما يحذرنا الكتاب المقدس من كثرة الكلام حتى في مخاطبة الله،

الأمر الذي يحتاج أكثرنا إلى الانتباه إليه في (جامعة ٥: ١ - ٢):

"إِحْفَظْ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَالاسْتِمَاعُ أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِيمِ دَبِيحَةِ الْجُهَالِ، لَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَلُونَ بِفَعْلِ السَّرِّ. لَا تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلَا يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلَامٍ قُدَّامَ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الْأَرْضِ، فَلِذَلِكَ لِيَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً".

قال لي أحدهم يوماً: «تذكر، إن الكذب بكلمات الترانيم هو خطية مثل الكذب تماماً». نعم، لقد سمعت أناساً يرنمون كلمات التسليم الكامل والتكريس الفائق لله، مثل: «سلمت قلبي، خصصت حيي... أنا لك كُلِّي بجمليتي...» وكانوا هم أنفسهم يتهربون من دفع القليل من ما لهم لعمل الرب. هذان موقفان متناقضان، فإن لم تكن حقاً مستعداً لتسليم حياتك للرب، لماذا تقول له ذلك؟! ألا تدري أنك ستعطي أمامه حساباً عن كل كلمة قلتها أو رنمتها في محضرة؟

نقرأ في الأصحاح نفسه من سفر الجامعة ما يشير إلى أننا سنسأل عن ما نقوله ورنممه ونصليه، ولا مجال بعد ذلك لأن نقول: «إنه سهو» (٦ ع)، لأننا سنعطي حساباً عن كل كلمة خالية من الإخلاص وبعيدة عن التطبيق. ونتابع في (جامعة ٥: ٣):

"لَأَنَّ الْخُلَمَ يَأْتِي مِنْ كَثْرَةِ الشُّغْلِ، وَقَوْلَ الْجَهْلِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ."

وفي الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة:

"فكما تراود الأحلام النائم من كثرة العناء، كذلك أقوال الجهل تصدر عن الإفراط في الكلام."

فكثرة الكلام إذاً هي علامة الجهل، وحديث الجاهل يُعرف من كثرة كلامه من دون الحاجة إلى دليل آخر، حيث أن «أقوال الجهل تصدر عن الإفراط في الكلام (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة). ما هو جذر المشكلة؟، أعتقد أنه يكمن في أن اللسان هو عضو لا يُضَبَطُ، وذلك استناداً إلى ما يقوله يعقوب:

"وَأَمَّا اللِّسَانُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُدَلِّلَهُ. هُوَ سَرٌّ لَا يُضَبَطُ، مَمْلُوءٌ سَمًّا مُمِيتًا." (يعقوب ٣: ٨)

فكثيرون الكلام لا يضبطون ألسنتهم، وهم كثيرون في مجتمعاتنا المعاصرة. ألم تكن يوماً برفقة امرأة أو رجل صدّع رأسك بكلامه الكثير الذي تعتقد أنه لن ينتهي أبداً؟ ما هو أصل المشكلة؟ إنه لسان لا يُضَبَطُ؛ إن كثرة الكلام دليل أكيد على أن هناك قلباً متعباً غير منضبط.

المرض الثاني: الكلام البطل

يقول يسوع في (متى ١٢: ٣٦):

"وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطَوْنَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ."

يوما ما، سنقف ونُسال عن كل كلمة بطلالة نطقنا بها، والمقصود بالعبارة «كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ» أظن هو كل كلمة لا عمل لها، عديمة الجدوى، غير مخرصة، قيلت بلا مبالاة، وبلا نية صادقة لتطبيقها. وفي عظته على الجبل يؤكد يسوع قائلاً:

"بَلْ لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ السَّرِيرِ." (متى ٥: ٣٧).

هنا عبارة تثير الدهشة، فإذا عمدنا إلى التكلم بما يزيد على حقيقة ما نقصد، جانحين إلى المبالغة غير الضرورية والتوكيد الذي في غير محله، فإننا بذلك نتكلم «من الشرير» أي من إبليس.

اسمحوا لي أن أضع الأمر كله في كلمات نصح بسيطة: «لا

تقل ما لا تعنيه». أعدك بأن هذه القاعدة البسيطة ستغير حياتك إذا طبقتها؛ ستصبح إنساناً آخر. جَرِّب ممارسة هذه العبارة منذ الآن ولمدة سنة، وستجد نفسك حينئذٍ شخصاً أفضل.

المرض الثالث: النميمة

"لَا تَسْعَ فِي الْوِشَايَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ." (لاويين ١٩: ١٦).

الناميمة هي الكلام الذي ينزع إلى الوشاية، وهي تتضمن كلام الكذب والمبالغة والمكر والخبث. يُلقب الشيطان في العهد الجديد بـ «إبليس - Devil»، وهي من أصل يوناني يعني «الواشي، المشتكي، المشهر - Slanderer». هذا هو جذر المعنى وقصد الكتاب المقدس من ذلك اللقب؛ فإن كنت تتعامل بالناميمة والوشاية، فأنت تعمل عمل الشيطان، تقوم مقامه وتُمثِّله؛ فعلياً أن نحذر لا من شر النميمة فحسب، بل ومن قبلوها من الآخرين أيضاً.

"كَلَامُ النَّمَامِ مِثْلُ لُقْمِ حُلْوَةٍ وَهُوَ يَنْزِلُ إِلَى مَخَادِعِ الْبَطْنِ." (أمثال ١٨: ٨).

ما أصدق هذه الكلمات في التعبير عن الطبيعة البشرية! فعندما نسمع ما يسيء إلى أحدهم، شيء ما في أعماق قلوبنا يفرح! فـ "كَلَامُ النَّمَامِ مِثْلُ لُقْمِ حُلْوَةٍ..." كن يقظًا عندما تُقدِّم إليك لُقْمَ النَمِمةِ الحلوة لئلا تبتلعها، فهي سامة وإن استسغتها، قاتلة وإن كان طعمها حلواً. وعندما نبتلعها، يسري سم الغيرة في حياتنا.

"الْسَّاعِي بِالْوَسَايَةِ يُفْشِي السِّرَّ، فَلَا تُخَالِطِ الْمُفْتَحَ شَفَتَيْهِ" (أمثال ٢٠: ١٩).

لاحظ مدى الترابط بين هذه الأمراض المختلفة، فإصغائك إلى النَمِمة يجعلك من المحرضين عليها؛ فمن يقبل سارقاً ويتعامل في الأشياء المسروقة، يكون شريكاً في السرقة ومحرضاً عليها في نظر القانون. هكذا أيضاً بالنسبة إلى النَمِمة. إذا أصغيت إلى كلام النَمَامِ متسللاً بحديثه؛ فقد صرت محرضاً على النَمِمة. هذا ما يقوله الله في (مزمو ١٥: ١ - ٣):

"يَا رَبُّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكِنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلٍ قُدْسِكَ؟ السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ. الَّذِي لَا يَشِي بِلسَانِهِ، وَلَا يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلَا يَحْمِلُ تَغْيِيرًا عَلَى قَرِيْبِهِ."

هناك عدة متطلبات للسكن في حضرة الله دائماً: السلوك بالكمال، العمل بالحق (أي بالبر)، والتكلم بالصدق حتى في أعماق القلب. وهناك ثلاثة أشياء ينبغي تجنبها: الوشاية باللسان؛ صنْع الشرّ، وتعيير القريب. وفي العدد الرابع نتابع:

"وَالرَّذِيلُ مُخْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ،..." (مزمور ١٥: ٤).

(والرذيل هنا هو "النمام") (الترجمة العربية الجديدة، المشتركة).

فليس كافياً ألا نشي بالآخرين، لكن علينا أن نرفض الواشين والنمامين أيضاً؛ علينا ألا نأكل اللقم الحلوة التي تقدمها النيمة لأنها مسمومة، وما أكثر الروابط والصدقات التي تسمت بسببها!

المرض الرابع: الكذب

ينبغي توخي الحذر في استخدام الكلمة المناسبة لوصف هذا المرض اللساني. ففي وصفه لما يقوم به بعض المبشرين، استخدم أحدهم المصطلح الساخر «التقارير التبهيرية!» عوضاً «التقارير التبشيرية.» ذلك أن المبشر يرى أمامه مئتي شخص

يتقدمون إلى الأمام في حملته الانتعاشية، فيبهر المشهد في تقريره لإرسالته (أي يضيف قليلاً من البهارات) جاعلاً المائتين خمسمائة! فهل هذا كذب أم مبالغة بريئة؟ إنه كذب بلا شك! إنني لا أقصد أن أنتقد أحداً، لكن من الضروري لكل واحد منا أن ينتبه وأن يحتاط، لئلا يجد نفسه كاذباً.

يتحدث الحكيم في (أمثال ٦: ١٦ - ١٩) عن سبعة أشياء يبغضها الله، والبغضة كلمة قوية جداً. هذا ما يقوله كاتب الأمثال:

"هَذِهِ السَّبْعَةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرَهُهُ نَفْسِهِ: عَيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ، لِسَانٌ كَاذِبٌ، أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا، قَلْبٌ يَتَشَبَّهُ أَفْكَارًا رَدِيئَةً، أَرْجُلٌ سَرِيعَةٌ الْجَرَيَانِ إِلَى السُّوءِ، شَاهِدٌ زُورٍ يَقُوهُ بِالْكَاذِبِ، وَزَارِعٌ خُصُومَاتٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ.."

من بين هذه السبعة التي يبغضها الله، هناك ثلاثة ترتبط باللسان:

أولاً: "لِسَانٌ كَاذِبٌ".

ثانياً: "شَاهِدٌ زُورٍ يَقُوهُ بِالْكَاذِبِ".

ثالثاً: "وَزَارِعٌ خُصُومَاتٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ".

وكيف تُزرع الخصومات إلا باللسان؟ إذًا، من بين سبعة أشياء يبغضها الرب هناك ثلاثة تتعلق باللسان، واثنان من الثلاثة يرتبطان بالكذب. وهذا ما تؤيده كلمات (أمثال ١٢: ٢٢) أيضًا:

"كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَقًا كَذِبٌ، أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ."

ولا مجال للحياء في هذه الكلمات، فإما "كَرَاهَةُ الرَّبِّ" وإما "رِضَاهُ". ولا وَسَطَ بينهما. والخيار الآخر في هذا العدد هو بين نقيضين آخرين:

الصدق أو الكذب ولا ثالث لهما. فإما أن نقول الصدق فنتمتع برضى الله، أو نكذب فنقدم له ما يكره.

وتكمن المشكلة في أننا نحفظ بالكثير من المساحات الرمادية في أذهاننا، مع أن كلمة الله لا تتوافق مع هذا اللون. أما إذا تتبعنا أصول الكذب، فإننا نكتشف أن إبليس هو مصدر الكذب كله؛ إنها حقيقة مخيفة! وهاكم ما يؤكدتها من كلمات يسوع نفسه. قال يسوع لأولئك المتدينين ورجال الدين في عصره:

"أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ ابْنِكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ

قَتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ
بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ."

فكل كلمة كاذبة تخرج من أفواهنا، إنما آتية من إبليس.
بقيت حقيقة أخرى، مهمة ومخيفة، تتعلق بمرض الكذب،
وهي أنه مرض مميت، إلا إذا قاومناه وتمتعنا بالشفاء منه.

"وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَعَبِيدُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ
وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَّابَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكَبِيرَةٍ،
الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي". (رؤيا ٢١: ٨).

لاحظ المشمولين بهذه الدينونة: الْخَائِفُونَ أو («الجناء» الترجمة
العربية الجديدة، المشتركة)، غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ، الرَّجِسُونَ أو («الأوغاد»
الترجمة العربية الجديدة، المشتركة)، الْقَاتِلُونَ، الزُّنَاةُ، السَّحَرَةُ أو
«المتصلون بالشياطين» الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة)، عِبَدَةُ
الْأَوْثَانِ، جميع الكذبة أو («الدجالين» الترجمة التفسيرية، كتاب
الحياة). فلا مجال للتساهل أو التغاضي؛ فمصير هذا المرض
وصاحبه «فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكَبِيرَةٍ». فإذا سُلِّمَ أحدهم إلى
الموت الثاني، انتهى الأمر. وها أنا أكرر ما قلت: إما الشفاء
من مرض الكذب، وإما الموت.

في سفر الرؤيا نقرأ عن مدينة الله، وفي (رؤيا ٢٢: ١٥) بالتحديد نقرأ عن أولئك المطروحين خارج المدينة:

"لَأَنَّ خَارِجًا الْكِلاَبَ وَالسَّحَرَةَ وَالرُّنَاةَ وَالْقَتْلَةَ وَعَبْدَةَ الْاَوْتَانِ، وَكُلَّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا."؛ فعلى كلِّ منّا أن يحدد خياره: هل أريد أن أُشفى من مرض الكذب، أم أنا مستعد لأن أخسر نفسي إلى الأبد؟ فمرض الكذب قاتل ومميت، إلا إذا قاومناه وُشفينا.

المرض الخامس: التملق

"خَلِّصْ يَا رَبُّ، لَأَنَّهُ قَدْ انْقَرَضَ التَّقِيُّ، لَأَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الْأَمْنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ كُلِّ وَاحِدٍ مَعَ صَاحِبِهِ، يَشْفَاهُ مَلِيقَةٍ، بِقَلْبٍ فَقَلْبٍ يَتَكَلَّمُونَ. يَقْطَعُ الرَّبُّ جَمِيعَ الشَّفَاهِ الْمَلِيقَةِ وَاللِّسَانِ الْمُتَكَلِّمِ بِالْعِظَائِمِ، الَّذِينَ قَالُوا: «بِالْإِسْتِثْنَاءِ نَتَجَبَّرُ. شِفَاهُنَا مَعَنَا. مَنْ هُوَ سَيِّدٌ عَلَيْنَا؟". (مزمو ١٢: ١ - ٣).

يصف داود هنا حالة من الانحطاط الأخلاقي عند الإنسان، ولسنا أمام صورة مختلفة عما هو سائد في عالمنا اليوم؛ فالأتقياء والأمناء قليلون، والنتيجة أن الناس "يَتَكَلَّمُونَ

(١) فقلب: أي بقلبَيْن، مُغْلَن ومستور. وذلك للإشارة إلى النفاق (انظر ترجمات أخرى).

بِالْكَذِبِ كُلِّ وَاحِدٍ مَعَ صَاحِبِهِ، بِشَفَاهِ مَلِيقَةٍ... "وها هي دينونة الله المعلنة على مثل أولئك: "يَقْطَعُ الرَّبُّ جَمِيعَ الشَّفَاهِ الْمَلِيقَةِ وَاللِّسَانَ الْمُتَكَلِّمَ بِالْعِظَائِمِ،... "وَيَجْذَرُنَا الْكِتَابُ فِي (أمثال ٢٦: ٢٨) قَائِلًا:

"اللِّسَانُ الْكَاذِبُ يُغِصُّ مُنْصَحِيهِ، وَالْقَمَرُ الْمَلِيقُ يُعِدُّ خَرَابًا."

فالتملق وقبول كلام المتملقين، كلاهما يقودان إلى الخراب. "الرَّجُلُ الَّذِي يُطْرِي صَاحِبَهُ (أي «يتملقه» الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة) يَسْطُ سَبَكَةً لِرَجُلَيْهِ." (أمثال ٢٩: ٥).

إنها حقيقة لَمَسْتُهَا بالتجربة العملية بعد سنوات عديدة في الخدمة؛ فهناك من يجاملون بكلمات التملق والإطراء غير مُخْلِصِينَ، إذ أن هناك دوافع أخرى خلف أساليبهم هذه. ولولا نعمة الله، لانزلقت قدماي في شباك التملق أكثر من مرة، ولوجدت نفسي ملتزمًا بأمر ما أو مرتبطًا بعلاقة ما خارج إرادة الله. تذكر هذا دائمًا: "وَالْقَمَرُ الْمَلِيقُ يُعِدُّ خَرَابًا."، و"الرَّجُلُ الَّذِي يُطْرِي صَاحِبَهُ يَسْطُ سَبَكَةً لِرَجُلَيْهِ."

المرض السادس: التسرع في الكلام

"أَرَأَيْتَ إِنْسَانًا عَجُولًا فِي كَلَامِهِ؟ الرَّجَاءُ بِالْجَاهِلِ أَكْثَرُ مِنَ الرَّجَاءِ بِهِ."
(أمثال ٢٩: ٢٠).

فالتسرع في الكلام يجعل حالنا أسوأ من حال الجاهل، وهي حقيقة قوية وصریحة، لأن الكتاب المقدس لا يقول شيئاً صالحاً عن الجهل والجهال.

يُجَدِّثُنا الكتاب عن حالة واحدة من التَّسَرُّعِ في الكلام، وعن الثَّمَن الذي تكلّفه ذلك العَجول المتسرع: أَمَرَ اللهُ موسى أن يقف أمام الشعب وأن يُكَلِّم الصخرة فيخرج منها ماءً للشعب. لكن موسى كان غاضباً جداً من الشعب فاندفع قائلاً لهم: "اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَّةُ! (أي المتمردون)، أَمِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟" (سفر العدد ٢٠: ١٠). بمعنى "أَعَلَيْنَا أَنْ نَخْرِجَ لَكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ مَاءً؟" (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة). ثم ضرب موسى الصخرة بدلاً من أن يُكَلِّمَهَا (انظر عدد ٢٠: ٧ - ١٢). لقد عبر موسى عن عدم طاعته للرب من خلال كلمات متسرعة، الأمر الذي جعله يفقد امتياز قيادة الشعب والدخول معهم أرض الموعد؛ هذا ما يصفه (مزمور ١٠٦: ٣٢ - ٣٣):

"وَأَسْخَطُوهُ عَلَى مَاءِ مَرْيَمَ حَتَّى تَأْذَى مُوسَى بِسَبِّهِمْ. لَأَنْتَهُمْ أَمَرُوا رُوحَهُ حَتَّى قَرَطَ بِسَفْتَيْنِهِ."

لاحظ التشخيص: روح متسعة وغاضبة تؤدي إلى أن نتكلم بكلمات طائشة وخاطئة، أي أن نتجاوز حدودنا بالكلام، الأمر الذي يجعلنا نخسر الكثير من الامتيازات والبركات؛ ألا ينبغي علينا أن نحذر من التسرع في الكلام، فنحني أنفسنا من خسارة روحية فادحة؟

الفصل (الساوس

جذر المشكلة

لقد وقر الله في كلمته نعمة لشفاء اللسان، أما الخطوة المبدئية في تحقيق هذا الشفاء، فهي التعرف على جذر المشكلة. إن شهادة كلمة الله المكتوبة واضحة لا لبس فيها: جذر كل مشاكل اللسان يكمن في القلب. قال يسوع:

"اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وَتَمَرُهَا جَيِّدًا، أَوْ اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وَتَمَرُهَا رَدِيًّا، لَأَنْ مِنَ الثَّمَرِ نَعْرِفُ الشَّجَرَةَ. يَا أَوْلَادَ الْآفَاقِ! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْقَمُ. الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَزْرِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنَ الْكَزْرِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ." (متى ١٢: ٣٣ - ٣٥).

الشجرة هي القلب، والثمر هو الكلام؛ فالكلمات التي تخرج من الفم، تحدد حالة القلب؛ الكلمات الصالحة تشير إلى قلب صالح، والكلمات الشريرة الرديئة تشير إلى قلب

رديء شرير؛ إمّا أن يكون القلب صالحاً أو شريعراً، وما يفيض به القلب عبر الشفتين يشير إلى محتواه.

عندما يفيض بعض الماء القليل من وعاء كبير، ونرى أنّ الماء الذي انسكب هو ماء قدر، لا نحتاج إلى أن نفحص ما تبقى في الوعاء من ماء، فهو جميعه قدر أيضاً؛ هذا ينطبق على قلوبنا، فإن كانت مملوءة بالشر والنجاسة وعدم الإيمان، فإننا ننطق بكلمات فاسدة تشير إلى الحالة السائدة في هذه القلوب.

لنقارن الآن ما قرأناه من متى مع (يعقوب ٣: ٩-١٢)، حيث يتحدث يعقوب عن التناقض والتقلب اللذين يعاني المتدينون منهما فيقول:

"بِه تَبَارِكُ اللَّهُ الْآبَ، وَبِه نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شَبْهِ اللَّهِ. مِنْ الْقِمِّ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَهٌ وَلَعْنَةٌ! لَا يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا! أَلْعَلَّ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُ مِنْ نَفْسٍ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذَبُ وَالْمُرٌّ؟ هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تَبْنِيهِ أَنْ تَصْنَعَ زَيْتُونًا، أَوْ كَرْمَةً تَبْنِي؟ وَلَا كَذَلِكَ يَتَّبِعُونَ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذْبًا!"

يستخدم يعقوب صورتي الينبوع والشجرة في هذه الفقرة؛ ويقول إنّ شجرة التين لا تصنع زيتوناً أبداً، فنوع الشجرة يحدد

نوع الثمر. إنها الصورة عينها التي استخدمها يسوع، فالشجرة هي القلب والثمر هو الكلام. ثم يقول يعقوب بأن ماءً مُرّاً مالحاً يخرج من نبع مياه يدل على أن ماء النبع كله مُرٌّ ومالح.»

هاتان الصورتان (الينبوع والشجرة) متوازيتان، إلا أنهما ليستا متطابقتين؛ فالشجرة الردية تشير إلى الإنسان القديم، أما الصالحة فتشير إلى الإنسان الجديد في يسوع المسيح؛ فالقديم لا يستطيع أن ينتج ثمرًا صالحًا، هذا ما أكّده يسوع مرارًا: الطبيعة الجسدية القديمة لا تنتج إلا ثمرًا يتناسب مع تلك الطبيعة. أما الينبوع فهو إشارة إلى الروح: الينبوع العذب النقي هو الروح القدس، أما الينبوع المالح المرف هو روح آخر.

فعندما يشير الفم إلى وجود فسادٍ ما، فنحن أمام مشكلتين محتملتين :

الأولى هي أن الطبيعة القديمة الفاسدة لم تتغير بعد، ومن الطبيعي أن تنتج هذه الطبيعة ثمرًا فاسدًا؛ أما الثانية فهي تدخل روح آخر، ليس هو روح الله، فينبع ذلك الروح ماءً نجسًا، وجوهر التعليم واحدٌ في الحالتين: حالة القلب الداخلية تحدد ما يخرج من الفم. وهذا يقودنا إلى معرفة المزيد عن

مشكلة القلب. يواجهنا سليمان في (أمثال ٤: ٢٣) بالحقيقة التالية:

"فَوَقَّ كُلٌّ تَحْفَظُ احْفَظْ قَلْبَكَ، لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ."

"مَخَارِجُ الْحَيَاةِ" تعني "ينابيع الحياة" (الترجمة العربية الجديدة المشتركة). وهذا يتوافق مع صورة ينبوع التي استخدمها يعقوب، حيث تشير المياه الخارجة من ينبوع إلى حالة ينبوع كله. انظر في كلمات (أمثال ٤: ٢٣) كما وردت في الترجمة العربية الجديدة المشتركة:

"من كل تكبر احفظ قلبك، لأن منه ينابيع الحياة."

فالمصدر هو القلب إذًا، سواء فاض من خلال حياتك أو من خلال لسانك؛ فإذا كان المصدر طاهرًا، كان ما ينبع منه طاهرًا؛ إن كان المصدر فاسدًا، كان ما ينبع منه فاسدًا أيضًا.

الآن نستطيع أن نضع كلمات (عبرانيين ١٢: ١٥ - ١٦) في سياق حديثنا:

"مَلَا حَظِينَ لِيَلَّا يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، لِيَلَّا يَطْلُعَ أَضْلُ مَرَاةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ. لِيَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَيْبِحًا كَعِيسُو، الَّذِي لِأَجْلِ أَكَلَةِ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ."

كانت البكورية^٢ من حق عيسو، لكنه باعها وخسرها. ويمكن أن نخطف نحن من الله بما يشبه البكورية من خلال وعد إلهي خاص؛ فإذا لم نسلك كما يحق لهذا الوعد، نخسر بكوريتنا وميراثنا، تمامًا كما حدث مع الجواسيس العشرة الذين جاءوا بتقرير سلبي.

ويرجع سبب سلوك عيسو هذا إلى أصل مرارة في قلبه ضد أخيه يعقوب، وقد أثمرت المرارة في حياته فأفسدتها، وقادته إلى خسارة بكوريته، أنظر (تكوين ٢٥: ١٩ - ٣٤). فجذر المشكلة كان مغروسًا في أعماق القلب.

يحذرنا الكتاب المقدس من أصل (أو جذور) المرارة في القلب، قد تؤدي إلى أن يتنجس به آخرون أيضًا؛ ففساد اللسان وسوء استخدامه مرض معدٍ. عندما جاء الجواسيس العشرة بتقريرهم السلبي، أفسدوا الشعب كله، وأصيب الجميع بمرض السلبية والتخاذل؛ هذا هو أحد أسباب تعامل الله مع هذا المرض بجدية واهتمام، فهو مرضٌ مُعْدٍ.

(٢) البكورية: كان البكر يتمتع بامتيازات خاصة عند اليهود، منها نيابة البكر لأبيه، وأخذة نصيب اثنين مما لأبيه، وأن يكون له نصيب أكبر من البركة، وتكريسه الكامل للرب (ثم ناب اللاويون عن الأبكار في الكهنوت)، انظر (خروج ٢٢: ٢٩) و (تثنية ٢١: ١٧).

وهناك أمثلة أخرى عن جذور الشر الكامنة في قلوبنا، والتي تظهر من خلال ألسنتنا، فتسبب المشاكل التي تسلب البركة التي أعدها الله. من هذه الجذور نذكر الغيظ، والنجاسة، وعدم الإيمان، والكبرياء. فمهما كانت طبيعة الجذور في قلوبنا، لا بد وأن تظهر نفسها من خلال الكلام. ربما نريد أن نكون لطفاء ونريد لكلامنا أن يكون نعمة للسامعين، لكن الغيظ يسمم كلماتنا، ويسود روح الغيظ علينا، فنحاول أن نقول شيئاً جميلاً ولا نستطيع. وقد يدعي أحدها الإيمان، إلا أن جذر عدم الإيمان يقوده إلى مثل ما فعل أولئك الجواسيس العشرة الذين أضافوا العبارة ”غير أن...“ إلى وعود الله، ويصدق هذا أيضاً على النجاسة والكبرياء.

اسمحوا لي أن أذكركم مجدداً بذلك الطبيب الذي يعالج مرض الدوسنتاريا: كان يسأل أولاً، «كيف حالك؟»، لكنه لم يكن يعتمد على إجابة المريض عن هذا السؤال، فكان يسارع إلى الطلب قائلاً للمريض، «أرني لسانك». فماذا تفعل أنت لو قال لك الله، «أرني لسانك»؟.

الفصل السابع

الخطوة الأولى للشفاء

دعونا ننظر الآن في ثلاث خطوات كتابية عملية بسيطة
تخص مشكلة اللسان:

الخطوة الأولى: سَم المشكلة باسمها الحقيقي: خطية

الأمانة ضرورية جدًّا، فتبرير المشكلة أو التظاهر بعدم وجودها، وإخفاؤها أو التغاضي عنها مستندين إلى الوهم ومتلاعبين ببعض مصطلحات علم النفس لا يحل المشكلة أبدًا، نحتاج إلى لحظة صدق مع النفس. لقد رأيت ذلك كثيرًا في تعاملات الله مع الناس: عندما نختبر موقف الصدق، يتحرك الله ويعمل فينا، أما اختلاق الأعذار وتغيير الأسماء فلا يؤدي إلى عمل الله. نقول أحيانًا: «يارب، لماذا لا تساعدنا؟» فيجيب الله - وإن لم نسمع - قائلاً: «أنا أنتظر صدقك وأمانتك مع نفسك ومعى.» هذه هي الخطوة الأولى والأكثر أهمية: سَم

مشكلتك باسمها (خطية)، بعد ذلك، تكون قد وضعت قدميك بالفعل على طريق الحل.

يميل المتدينون إلى استخدام أساليب كثيرة لتبرير إساءة استخدام اللسان، وتزوير حقيقة المشكلة؛ فحين نعتقد أن ما نقوله غير هام، يقول الله أن ما نقوله في منتهى الأهمية. وقد سبق وبيننا أنك تحدد مصيرك من خلال ما تقول. قال يسوع "لأنَّكَ بِكَلَامِكَ تَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ." (متى ١٢: ٣٧). إنه أمر خطير، فلا تستهن به أبداً، بل قف وقفة صدق وقل: "أنا أعاني من مشكلة في لساني، وهي خطية." حينئذٍ، تكون جاهزاً للخطوة الثانية.

الخطوة الثانية: اعترف بخطيتك، واقبل الغفران والتطهير
نرى هذا بوضوح في (١ يوحنا ١: ٧ - ٩):

"وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضَنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نَضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ."

نلاحظ من جديد أهمية الصراحة والأمانة والصدق؛ فدم

يسوع لا يطهر في الظلمة. فقط عندما نأتي إلى النور، نستطيع أن نقبل التطهير بدم يسوع. فإذا سلكنا في النور، دم يسوع المسيح يطهرنا باستمرار من كل خطية ويحفظنا طاهرين. إن قلنا إننا بلا خطية، وهي المشكلة الحقيقية التي ذكرناها سابقاً، وليس الحق فينا، ولا نكون سالكين في النور بل في الظلمة، لذلك لا تعمل فينا نعمة الله.

أما الخيار الثاني فهو إن اعترفنا بخطايانا، وجئنا إلى النور مقربين بطبيعة مشكلتنا الحقيقية ومُدرّكين لخطورتها، فالله «أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ؛» فالله أمين لأنه وعد وسيوفي بوعدده، وهو عادل لأن يسوع دفع أجرة خطايانا على الصليب. لذلك، يستطيع الله أن يغفر لنا من دون أن يساوم على عدالته.

تعدنا كلمة الله بالغفران والتطهير إذا اعترفنا بخطايانا، وهي حقيقة تضمنها أمانة الله وعدالته. ونرى أن الله لا يغفر لنا فحسب، لكنه يطهرنا أيضاً. وهذا أمر بالغ الأهمية، فعندما تتطهر قلوبنا التي منها ينباع الحياة، لا نعود نرتكب الخطايا نفسها فيما بعد.

فماذا إذا اعتقدت أن خطاياك قد عُفرت، ثم اكتشفت بالتجربة أنك لم تتطهر بالفعل؟ في هذه الحالة، هناك علامة استفهام حول حقيقة غفران خطاياك؛ فالله الذي يغفر، يطهر أيضاً، والعدد الكتابي الذي يقدم لنا وعد الغفران، يقدم وعد التطهير أيضاً، والله لا يقف في منتصف الطريق. إذا حققنا الشروط اللازمة معترفين بخطايانا، نحصل على الغفران والتطهير معاً، وإذا لم نحقق الشروط، لا نحصل على نصف الوعد، بل نخسر الوعد كله.

فإذا تطهّرت قلوبنا بالفعل، تنتهي المشكلة. تذكر، حالة القلب تحدد ما يخرج من الفم؛ القلب الطاهر والصالح لا يخرج كلاماً نجساً؛ الكلام النجس يشير إلى قلب نجس.

إذاً، هناك مرحلتان مترابطتان في هذه الخطوة:

أولاً: نأتي إلى النور معترفين وتائبين إلى الله، وهو أمين وعادل ليغفر لنا خطايانا؛ يمحو سجل الماضي وتزول تلك الأشياء التي تتمنى لو أنك لم تقلها، فتكون بالفعل كأنها لم تكن.

ثانياً: يطهر الله القلب، فيكون ما يخرج منه على لسانك

طاهرًا أيضًا، فإن كان قلبك يمجّد الله، فكذلك شفّتك أيضًا، نعم، يعالج الله مرض اللسان والشفّتين من خلال تعامله مع حالة القلب الداخلية.

الخطوة الثالثة: ارفض الخطية، اخضع وسلم لله

رفض الخطية والخضوع لله وجهان لعملة واحدة، وينبغي الأخذ بهما معًا؛ ينبغي أن تقول «لا للخطية» و«نعم لله»، وكلا الجانبين ضروري، فلا يمكنك أن تقول «لا للخطية» من دون أن تقول «نعم لله»، لأن ذلك يولد فيك فراغًا لا بد أن يمتلئ مجددًا من المشكلة نفسها؛ لا يمكنك الهروب من الخطية دون الخضوع والتسليم لله. يقول بولس في (رومية ٦: ١٢-١٤):

"إِذَا لَا تَمْلِكَنَّ الْخَطِيئَةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ، وَلَا تَقْدُمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلَاتِ إِنْئِمٍ لِلْخَطِيئَةِ، بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ لِلَّهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلَاتِ بَرٍّ لِلَّهِ. فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تُسَوِّدَكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعَمَةِ."

عندما تتحدّاك الخطية، قل: «لا، لن أستسلم لك، ولن أقدم أعضاء جسدي لخدمتك، ولن أقدم - بشكل خاص -

ذلك العضو الأكثر إثارة للمشاكل وهو اللسان. أيتها الخطية، لا يمكنك السيطرة على لساني فيما بعد»، ثم توجه إلى الله قائلاً: «يارب، أنا أسلم لساني لك، وأطلب منك أن تسيطر على هذا العضو الذي لا أستطيع أن أسيطر عليه». انظر إلى ما يقوله يعقوب عن اللسان:

"لَأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالرَّحَافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُدَلِّلُ، وَقَدْ تَدَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُدَلِّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لَا يُضَبَّطُ، مَمْلُوءٌ سُمًّا مُمِيتًا." (يعقوب ٣: ٧-٨).

عليك أن تقبل حقيقة عدم قدرتك على تذليل (أو ترويض) اللسان؛ قوة واحدة فقط تستطيع السيطرة على لسانك دائماً، إنها قوة الله بالروح القدس، فعندما تغفر خطاياك ويتطهر قلبك وتأتي خطايا اللسان لكي تتحدأك ثانية، عليك أن تقاوم قائلاً: «لن تتمكني من لساني فيما بعد، أنا أرفض تقديمه لك». ثم قل للروح القدس: «أيها الروح القدس، أنا أسلم لك لساني، سيطر عليه، لأنني لا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسِي».

إِذَا هُنَاكَ ثَلَاثُ خُطَوَاتٍ لِحُلِّ الْمَشْكِةِ:

أَوَّلًا: سَمِّ الْمَشْكِةَ خَطِيئَةً، فَهُوَ اسْمُهَا الْحَقِيقِيُّ.

ثَانِيًا: اعْتَرَفْ بِخَطِيئَتِكَ، وَاقْبَلْ غُفْرَانَ اللَّهِ وَتَطْهِيرَهُ.

ثَالِثًا: اِرْضَ الْخُضُوعَ لِلْخَطِيئَةِ، وَصَمِّمْ عَلَى التَّسْلِيمِ لِلَّهِ.

الْخُضُوعُ وَالتَّسْلِيمُ هُمَا قِمَّةُ عَمَلِيَةِ التَّحْرِيرِ وَالشِّفَاءِ، فَأَنْتَ تُسَلِّمُ لِسَانَكَ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ، ذَلِكَ الْعَضْوُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ تَذْلِيلُهُ.

الفصل الثامن

الهدف من اللسان

سبق لنا ورأينا أن أصل كل مشكلة تتعلق باللسان يكمن في قلوبنا. ومن الواضح أن هذا يعني أن التعامل مع مشكلات اللسان ينبغي أن يبدأ من جذورها، أي من القلب. وتحدثنا عن الخطوات الثلاث التي ينبغي أن نخطوها في معالجة المشاكل المتأصلة في قلوبنا، والتي تظهر من خلال ألسنتنا:

أولاً: سمّ المشكلة باسمها، أي الخطية؛ كن صادقاً مع نفسك، فالله لا يتعامل إلا على أساس الحق، والروح القدس هو روح الحق.

ثانياً: اعترف واقبل الغفران والتطهير حسب وعد الله في (١ يوحنا ١: ٩):

"إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ." فالله لا يغفر خطايا الماضي فحسب، لكنه يطهر القلب أيضاً متعاملاً مع جذور المشكلة. بعد ذلك، تبدأ الثمار الجديدة بالظهور.

ثالثًا: ارفض الخطيئة واخضع لله؛ قل «لا للخطيئة» و«نعم لله»؛ ارفض الخطيئة وَسَلِّمْ للروح القدس، فهو الوحيد القادر على أن يسيطر بقوة وفاعلية واستمرارية على لسانك.

دعونا ندرس جانب الخضوع والتسليم لله بصورة أوسع، وهو أحد جانبي الخطوة الثالثة، نحتاج أولاً أن نفهم السبب الذي من أجله أعطانا الخالق لسانًا، ونجد مبتغانا هذا في كلمة الله المكتوبة، لكن ليس من خلال نص مباشر، فنحن هنا أمام أحد تلك الأمثلة الجميلة في الكتاب المقدس، حيث نستخلص فكرة من ربط فقرتين من الكتاب معًا، لنجد أنفسنا أمام إعلان جديد لا نراه في أيٍّ من الفقرتين على انفراد.

أما الفقرتان في هذه الحالة فإحدهما من العهد القديم والأخرى من الجديد، الأولى هي الأصل والثانية هي اقتباس للفقرة نفسها بطريقة تجعل المعنى الخفي في العهد القديم ظاهرًا وواضحًا. نقرأ أولاً من العهد القديم:

"جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لِأَنَّهُ عَن يَمِينِي فَلَا أَتَزَعَّجُ. لِذَلِكَ قَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجْتُ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا." (مزمور ١٦: ٨ - ٩)

ونجد ترجمة أدق لهذه الكلمات في الترجمة اليسوعية حيث نجدها في (مزمور ١٦: ٨ - ٩) حسب هذه الترجمة:^٣

”جعلت الرب أمامي في كل حين، فإنه عن يميني فلا أترزع.
لذلك فرح وابتهج مجدي وجسدي أيضًا سيسكن على رجاء“.

في يوم الخميس، وعندما حل الروح القدس على التلاميذ وجاءت جموع الناس تتساءل عما يحدث، قام بطرس وقدم عظته الشهيرة. وقد تحدث بطرس عن حياة يسوع وموته وقيامته، مستشهدًا بمقاطع كثيرة من العهد القديم، لكي يبرهن أن يسوع هو المسيح ابن الله بالفعل. أحد المقاطع التي اقتبسها بطرس كان (مزمور ١٦: ٨ - ٩)، ونجد نص الاقتباس في (أعمال ٢: ٢٥ - ٢٦) حيث يقول بطرس:

”لأنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي، لِيُ

(٣) حسب هذه الترجمة: تعتمد بعض الترجمات (مثل بستاني وفاندايك والترجمة التفسيرية) التقسيم العبري للمزمور، بينما تعتمد غيرها (مثل الترجمة الكاثوليكية اليسوعية) التقسيم اليوناني كما في الترجمة السبعينية، وفي الترجمة اللاتينية المعروفة بـ “Vulgate” حيث يجمع المزموران ٩ و ١٠ في مزمور واحد هو ٩، ثم يقسم المزمور ١٤٧ إلى مزمورين هما ١٤٦، ١٤٧ أما الترجمة العربية الجديدة (المشتركة) فتعتمد التقسيم العبري، وتضع التقسيم اليوناني بين أقواس.

لَا أَتَزَعِرْ. لِذَلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ."

فإذا وضعنا العبارة «لذلك فرح قلبي وابتهج مجدي» من العهد القديم مع العبارة التي تقابلها من العهد الجديد: "لِذَلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي"، نجد أن داود يقول: «ابتهج مجدي»، بينما يفسر بطرس هذه الكلمات بالروح القدس قائلاً: "وَتَهَلَّلَ لِسَانِي". وهذا يشير إلى حقيقة أساسية هامة:

لساني هو مجدي! لماذا؟ لأن الخالق أعطى لكل منا لساناً من أجل غرض سامٍ هو تمجيده. بهذا المعنى تكون ألسنتنا هي مجدنا، فاللسان هو العضو الذي نمجد به الخالق ونرفعه فوق الجميع. وهذا يقودنا إلى نتيجة عظيمة الأهمية، وهي أن كل استخدام للسان لا نمجد به الله، هو إساءة استخدام لذلك العضو، لأن الهدف الرئيسي من اللسان هو تمجيد الله. للنظر الآن في عبارة بولس المشهورة في (رومية ٣: ٢٣):

"إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ". وفي الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة: «لأن الجميع قد أخطأوا، وهم عاجزون عن بلوغ ما يمجد الله».

ليس جوهر الخطية هو بالضرورة اعتراف جريمة ما، بل هو في عجز الإنسان عن تمجيد الله، أو عدم قدرته على الحياة لمجد الله، وقد يجادل أحدهم قائلاً: «هذا لا ينطبق عليّ، فأنا لم أفعل ما يسيء إلى مجد الله.» ولكني أسألك أن تفحص لسانك وكيف تستخدمه. تذكر، الهدف الأوحد من اللسان هو تمجيد الله، وكل استخدام لا يمجّد الله هو استخدام خاطئ ولا أعتقد بوجود إنسان واحد يستطيع أن يقول بكل أمانة إنه استخدم لسانه كل الوقت لمجد الله. لذلك، ينبغي أن نقر بصدق ما ذهب إليه بولس عندما قال إن الجميع أخطأوا، وهم عاجزون عن بلوغ ما يمجّد الله؛ فإن لم تكن هذه العبارة صادقة في كل نواحي الحياة الأخرى، على سبيل الجدل، فهي صادقة في ناحية اللسان بلا شك.

هناك نوعان من النار يلتقيان على لسان الإنسان: أولاً: نار من جهنم تُضرم في لسان الإنسان الخاطئ غير المولود من الله. يقول يعقوب:

"قَالَ لِّلْسَانُ نَارًا! عَالَمُ الْإِثْمِ. هَكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللَّسَانُ، الَّذِي يَدْنُسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضْرَمُ دَائِرَةُ الْكَوْنِ، وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ." (يعقوب ٣: ٦).

هذه النار تأتي من جهنم نفسها، وثمرها ونتائجها جهنمية. لكن ناراً أخرى ظهرت يوم الخمسين، عندما كوّن الله مجتمع المفدين الذين يريد أن يستخدمهم لمجده على الأرض، وكان مصدر تلك النار مختلفاً أيضاً، فهي نار الروح القدس الأتي من السماء لا من جهنم. وقد عملت تلك النار أولاً في السنة أولئك المنتظرين في العلية، فطردت نار الله نار جهنم من ألسنتهم القديمة؛ نعم، لقد تبدلت نار جهنم بنار الطهارة والقداسة وتمجيد الله وتعظيمه. لاحظ كلمات (أعمال ٢: ١-٤):

"وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَعْثُهُ مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلِسِنَةٍ أُخْرَى، كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطَفُؤُوا."

لقد عمل الروح القدس في ألسنتهم أولاً، إذ منحهم نار الله من السماء أسلوباً جديداً يستخدمون به تلك الألسنة. ويؤكد الكتاب بعد ذلك بأن كل ما كانوا يقولونه بعد ذلك إنما كانوا يعظمون به الله ويمجدونه؛ صاروا يستخدمون ألسنتهم في الغرض

الذي خلقت من أجله: تمجيد الله. والمفتاح هنا هو تسليم اللسان للروح القدس. هذا ما يؤكد بولس في (أفسس ٥: ١٧-١٨):

"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَغْيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلْ امْتَلُوا بِالرُّوحِ".

ينبغي أن نأخذ هاتين الوصيتين معًا كما هما في السياق: السُّكْر بالخمرة خطية، لا خلاف على ذلك؛ ولكن عدم الامتلاء بالروح القدس هو خطية أيضًا! فوصية الأمر ليست أقل أهمية من وصية النهي.

ويوحى النص بنوعين مختلفين من السُّكْر: السُّكْر بالخمرة، والسُّكْر بالامتلاء بالروح القدس أو من الروح. وقد تقبل هذه الحقيقة إذا تذكرت ما حدث يوم الخمسين، عندما امتلأ الجميع بالروح القدس فوصفهم المستهزون بالسكرارى. والواقع أنهم، وإن لم يكونوا سكرارى بالخمرة، كانوا سكرارى بامتلائهم من الروح القدس، الأمر الذي يختلف تمامًا عن سُكْر الخمر. بعد ذلك يتابع بولس قائلاً:

"مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَنَسَائِحَ وَأَغَانِي زَوْجِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِّينَ فِي

قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلَّهِ وَالآبِ." (أفسس ٥: ١٩ - ٢٠). لاحظ الكلمة «مُكَلِّمِينَ» والتي تأتي مباشرة بعد العبارة «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ».

وفي العهد الجديد خمسة عشر موضعاً تصف أناساً ممتلئين أو يمتلئون بالروح. في كل موضع منها، كان الإظهار الأول يبدأ في الفم، فـ «مَنْ فَضَلَهُ الْقَلْبُ يَتَكَلَّمُ الْقَمُّ».

عندما تمتلئ بالروح القدس، يأتي الإظهار الأول من خلال فمك؛ فيبدأ باستخدام لسانك للتسبيح والترتيل والشكر وكل كلام يمجّد الله ويبني الآخرين، عوضاً عن التذمر والتشكي والانتقاد ودفع الآخرين إلى عدم الإيمان. وهكذا يتحول اتجاه استخدام لسانك كلياً من السلب إلى الإيجاب.

ينبغي أن يكون لكل حلّ من حلول مشاكل الخطية اتجاهًا إيجابيًا، فلا يكفي أن نتوقف عن ارتكاب خطية ما، بل ينبغي أن نتسلّح بالبر، لا يكفي أن نمنع إبليس من الوصول إلى ألسنتنا، بل ينبغي أن نسلم ألسنتنا للروح القدس. «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ ... مُكَلِّمِينَ»، هذا هو العلاج.

الفصل التاسع

أهمية الاعتراف

نرى في هذا الفصل كيف أنَّ استخدام اللسان بصورة صحيحة، يربطنا - بطريقة خاصة - بيسوع المسيح رئيس كهنتنا. أما خدمة يسوع كرئيس كهنة، فهي خدمة أبدية مستمرة في السماء؛ فبعد أن تعامل مع خطايانا بموته وقيامته وصعوده، دخل يسوع في مجال خدمة رئيس كهنتنا الأبدى الذي يمثلنا في حضرة الله. ويعمل الرب يسوع كرئيس كهنة لنا بشرط واحد، وهو أن نعترف الاعتراف الحسن بألسنتنا. وهذا ما يقوله كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

"مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْقَدِيسُونَ، شُرَكَاءَ الدَّعْوَةِ السَّمَاءِيَّةِ، لَاحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَبِّيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ" (عبرانيين ٣: ١).

لاحظ أن يسوع هو رئيس كهنة اعترافنا، فاعترافنا هو ما يربطنا بيسوع المسيح كرئيس كهنة. أما الإيمان المجرد

الفارغ من الاعتراف، فإنه يعيق عمل رئاسة الكهنوت من أجلنا. فاعترافنا المنطوق، لا إيماننا الصامت، هو قاعدة عمل المسيح كرئيس كهنة اعترافنا.

من المهم جداً أن نعلن اعترافنا الحسن وأن نحافظ عليه. وتعني كلمة «اعتراف» حرفياً: «أن نقول الشيء نفسه»؛ فالاعتراف في سياق موضوعنا هو أن نقول بأفواهنا ما يقوله الله في كلمته، أي أن تتوافق كلماتنا المنطوقة مع كلمة الله المكتوبة.

عندما نجعل كلماتنا تتفق بإيمان مع ما يقوله في كلمته، يستطيع يسوع أن يمارس خدمته كرئيس كهنة فيمثلنا في حضرة الله، إمّا إذا نطقنا باعتراف خاطئ، فإننا نعيق خدمته هذه. يعتمد الأمر كله على اعترافنا، هذا ما تؤكد الرسالة إلى العبرانيين مرة تلو المرة، فبالإضافة إلى (عبرانيين ٣: ١) نقرأ (عبرانيين ٤: ١٤) ما يلي:

"فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٍ قَدْ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ، فَلَتَنَمَسَّكَ بِالْإِقْرَارِ (أي الاعتراف)".

فالإقرار، أو الاعتراف، هو الذي يحافظ على صلتنا بيسوع

كرئيس كهنة عظيم. ونقرأ في الرسالة إلى العبرانيين مرة أخرى:

"فَإِذْ لَنَا أَثَرُهَا الْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالذُّخُولِ إِلَى «الْأَقْدَاسِ» بِدَمِ
يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ،
وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى يَتِّ اللَّهِ، لِنَتَقَدَّمَ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الْإِيمَانِ،
مَرْشُوسَةً قُلُوبَنَا مِنْ صَمِيرٍ شَرِيرٍ، وَمُعْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ. لِنَتَمَسَّكَ
بِإِفْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخًا، لِأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ". (عبرانيين ١٠: ١٩-٢٣).

ففي كل مرة يتحدث فيه الكتاب عن يسوع كرئيس كهنة،
يتحدث أيضًا عن ضرورة التمسك باعتراف الإيمان واعتراف
الرجاء؛ فاعترافنا - كما ذكرنا - يربطنا بيسوع كرئيس كهنتنا،
فإن لم نتمسك بهذا الاعتراف، نعيق عمل يسوع الكهنوتي
من أجلنا. والواقع أن الاعتراف ضروري من أجل خلاصنا:

"لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟ «الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» أَيْ كَلِمَةُ
الْإِيمَانِ الَّتِي تُكْرِزُ بِهَا: لِأَنَّكَ إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَأَمَنْتَ
بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ. لِأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمِنُ بِهِ لِلْبَرِّ،
وَالْفَمَ يُعْتَرِفُ بِهِ لِلْخَلَاصِ". (رومية ١٠: ٨ - ١٠).

نلاحظ ثانيةً ذلك الارتباط المباشر بين القلب والفم،

فمن فضلة القلب يتكلم الفم، كما قال يسوع. والخلاص يعتمد على أمرين: الإيمان في القلب، والاعتراف بالفم. أما الكلمة «خلاص» في الكتاب المقدس، فهي كلمة كبيرة وشاملة لكل بركات الله وإحساناته التي توفرت لنا من خلال موت يسوع المسيح، فهي تتضمن البركات المادية والجسمية والروحية، المؤقتة منها والأبدية. كل هذه البركات التي اشتراها لنا يسوع بموته، تتلخص في كلمة واحدة هي «الخلاص»

ولكي نختبر ملء خلاص الله في كل نواحي حياتنا، ينبغي أن نعترف الاعتراف الحسن؛ ينبغي أن نقول بأفواهنا ما يقوله الله في كلمته. وعندما يتوافق اعترافنا مع كلمة الله، نكون في طريقنا إلى ملء بركات الله المذخرة لنا في الخلاص، ونتمتع بخدمة المسيح في السماء كرئيس كهنتنا الأعظم، فما الذي يمنعنا بعد ذلك من الدخول إلى ملء خلاصنا؟ نعم، إن اعترافنا يربطنا برئيس كهنتنا، لذلك فإن ما نقوله بأفواهنا يحدد مستوى اختبارنا.

دعونا نعد باختصار إلى التوضيح الذي يشبه اللسان بدفة السفينة في رسالة يعقوب:

"هُوَذَا السُّفْنُ أَيْضًا، وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ، وَتَسُوقُهَا رِيَّاحُ عَاصِفَةٌ، تُدِيرُهَا دَقَّةٌ صَغِيرَةٌ جِدًّا إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَصْدُ الْمُدِيرِ. هَكَذَا اللِّسَانُ أَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَقْتَحِرُ مُتَعَظِّمًا. هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ، أَيْ وَقُودٌ تُحْرِقُ؟" (يعقوب ٣: ٤ - ٥).

تُمَثِّلُ الدِّفَةُ بالنسبة إلى السفينة ما يمثله اللسان بالنسبة إلى الجسد أو إلى الحياة؛ استخدام الدفة بشكل صحيح يوجه السفينة وجهة صحيحة، أما استخدامها بشكل سيء فيؤدي إلى انكسار السفينة. والأمَرُ نفسه مع اللسان، استخدام اللسان بشكل صحيح يقودنا إلى النجاح وإلى الخلاص في ملئه، أما استخدامه بشكل سيء فيؤدي إلى الانكسار والفشل.

تتحرك السفينة بالاتجاه الذي يحدده المدير (قائد الدفة)، وذلك بواسطة إدارة الدفة بالطريقة المناسبة. قد تكون سفينة كبيرة عابرة للمحيطات، وهناك قبطان ذو خبرة واسعة مسئول عنها، إلا أن مسؤولية إدارة الدفة ينبغي أن تُعطى لرجل مختص بذلك، ولا يجوز للقبطان أن يقوم بذلك الدور بدلًا منه، خاصة

عندما يأتي وقت إرساء السفينة إلى الميناء. لقد صار من المتعارف عليه عالمياً أن يصطحب القبطان مختصاً بإدارة الدفة يتحمّل مسؤولية توجيه السفينة وتأمينها إلى الميناء.

قد نشعر أننا وأنت بأننا أكفاء لإدارة حياتنا، ولكن هناك دائماً مواقف وأوضاع لا نستطيع التعامل معها، الأمر الذي يتطلب الاستعانة بـ «مدير» يتحمل مسؤولية قيادة سفينة حياتنا، فمن هو هذا المدير؟ إنه الروح القدس بالطبع! فله وحده القدرة على مساعدتنا في استخدام ألسنتنا بصورة حسنة، معترفين الاعتراف الحسن.

الروح القدس هو روح الحق وهو روح الإيمان؛ فعندما يكون هو محرك أحاديثنا والمسيطر على كلماتنا، تصبح جميعها إيجابية ونافعة، تُمدد الله وتجذب بركاته إلى حياتنا. ألا نحتاج جميعاً إلى الروح القدس لتسيير سفينة حياتنا وإدارة دفتها (اللسان)؟ نعم، فالروح القدس هو الحل الأعظم لمشكلة لسان الإنسان.

يسمح الله لنا بالفشل أحياناً، ويقول: «لا أحد منكم

يستطيع أن يضبط لسانه بنفسه.» ثم يقول: «الكني أرسلت مديراً، فهل من يدعوهُ إلى قيادة دفة السفينة؟» والآن، ما عليك سوى التجاوب مع دعوة الله ببساطة، وقد تكون الصلاة المقترحة التالية بداية حسنة:

أيها الروح القدس،

أنا لا أستطيع أن أضبط لساني؛

تعال يا روح الله وسيطر عليه،

أنا سأخضع لقيادتك،

أعطني لساناً يمجد الله.

أمين.

نبذة عن الكاتب

ديريك برنس

ولد ديريك برنس في الهند لوالدين إنجليزين. وتعلم كدارس للغة اللاتينية واليونانية في جامعتي إيتون وكامبريدج، ببريطانيا، حيث حصل على زمالة في الفلسفة القديمة والحديثة من كلية كينج. وقد درس أيضًا العبرية والآرامية، كلاهما في جامعة كامبريدج والجامعة العبرية في أورشليم. بالإضافة إلى ذلك فهو يتحدث الكثير من اللغات الحديثة الأخرى.

أثناء تأديته للخدمة العسكرية في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية، بدأ في دراسة الكتاب المقدس واختبر مقابلة مغيرة للحياة مع المسيح يسوع. ووصل لإستنتاجين من هذه المقابلة: أولاً أن يسوع المسيح حي، وثانياً، أن الكتاب المقدس حقيقي، ومناسب، ومواكب للعصر. وهذان الإستنتاجان غيرا مسار حياته بالكامل. فمنذ ذلك الحين، كرس حياته لدراسة وتعليم الكتاب المقدس.

ووصل برنامجه الإذاعي «مفاتيح الحياة الناجحة»، لأكثر من نصف العالم ويتضمن ترجمات للغة العربية، والصينية، والكرواتية، والماليزية، والمنغولية، والروسية، والسامون، والإسبانية والتونغغا. وقد ألف أكثر من ٥٠ كتاباً، وما يزيد عن ٥٠٠ تعليم مسجل و١٦٠ تعليم مصور، وقد تُرجم ونشر العديد منها بأكثر من ٦٠ لغة.

إن موهبة ديريك الأساسية هي تفسير الكتاب المقدس وتعليمه، بطريقة واضحة وبسيطة. وقد تسبب توجهه اللاطائفي واللامذهبي في جعل تعاليمه مناسبة تماماً وتساعد الأشخاص من كل الخلفيات العرقية والدينية

إصدارات أخرى لديريك برنس بالعربية

كتب:

- أسس الإيمان
- يخرجون الشياطين
- الكفارة
- الإيمان الذي به نحيا
- الحرب في السماويات
- تلبسون قوة
- أزواج وآباء
- الدخول إلى محضر الله
- تشكيل التاريخ
- عهد الزواج
- مواجهة الأيام الأخيرة
- الشكر التسبيح العبادة
- العبور من اللعنة إلى البركة
- أسرار المحارب في الصلاة
- دراسات شخصية في الكتاب المقدس
- القوة الروحية المغيرة للحياة
- ما جمعه الله
- البركة أو اللعنة: أنت تختار
- لنحيا ملح ونور
- قوة اسمه
- مواهب الروح القدس
- إستقبل وعود الله
- لماذا تحدث أمور صعبة لشعب الله

كتب:

- اكتشف قيمتك في قلب الله
- الكبرياء مقابل الاتضاع
- الأمان المطلق

كتيبات:

- المبادلة الإلهية العظمى
- الأبوة
- الدواء الإلهي
- شركاء مدى الحياة
- المصارعة الروحية
- الروح القدس فينا
- الرفض
- ومتى صتم
- فكر الله نحو المال
- هل يحتاج لسانك إلى شفاء
- الخلاص الكامل
- المحبة المسرفة
- الصلاة من أجل الحكومة
- مشيئة الله لحياتك
- أقوى ثلاث كلمات
- من المرارة إلى الفرح
- ثق في نعمة الله
- رجاء يفوق الألم
- قوة العشاء الرباني (الأفخارستيا)



يمكنك استماع وقراءة هذا الكتاب
وكل كتب ديريك برنس الأخرى على موقع الخدمة

www.dpmarabic.com



إذا طسك الرب من خلال هذا الكتاب شاركنا باختبارك على:



info@dpm.name



+447477151750



Derek Prince
MINISTRIES